كأنّه الربيع

ميلتون كابلن ❖
ترجمة: رياض عوده رضيوي

أتوقّف عند المخزن في زاوية الشارع كي أتناول وجبةَ الفطور المكوّنة من القهوة مع كعكة محلاّةٍ مقليّةٍ بالزيت. أتناول طعامي بسرعة لأنّي متأخّر قليلاً، ثم أجري بأقصى سرعة إلى محطة الترام تحت الأرض، فأنزل درجات السلّم كي ألحق بقطاري المعتاد أُمسك بقوّة بالمقبض، وأصدّق نفسي التي تقول إنّي أقرأ جريدتي، لكنّي أواصل النظر إلى الناس المزدحمين من حولي. إنّهم الأشخاص الذين أراهم كلّ يوم، يعرفونني وأعرفهم، لكنّنا لا نبتسم بعضنا لبعض. فنحن غرباء، جمعتنا المصادفةُ وحدها. أسمعهم يتحدّثون عن أصدقاء لهم، وأتمنّى أن يكون لي شخصٌ ما أتحدّث معه، شخص يَكْسر رتابةَ رحلة القطار الطويلة.

وعندما ندنو من المحطة، رقم مائة وخمسة وسبعين، أبدأ بالتوتر مرةً أخرى تنزلق إلى داخل القطار برشاقة، من دون أن تتدافع مع الآخرين، ثم تنحشر في مجال ضيق، تتشبّث بالعمود، وتقبض بقوةٍ على ظرفٍ ربّما يحتوي وجبةَ غذائها. لم أرها تحمل جريدةً أو كتابًا قطّ، أعتقد أنّه ليس هنالك الكثيرُ من المنطق في محاولة القراءة عندما تكون مهروسًا في الزحام على ذلك النحو لها محيّا طريٌّ مليءٌ بالنشاط، وأعتقد أنّها لا بدّ وأن تقطن في نيو جيرزي؛ فالحشد المزدحم من جيرزي يستقلّ القطارَ عند تلك المحطة. لها وجهٌ عذبٌ، ذو طلعةٍ بهيةٍ لا تحتاج إلى أيّ مسحوق أو مستحضرات تجميل، وهي لا تضع المكياج على وجهها اطلاقًا، ما عدا إصبعَ تخضيبَ الشفاه كما أنّ شعرها المتموّج طبيعي، ذو لون بنّي خفيف، مثل لون أوراق الصفصاف عندما تتحوّل بنّيةً في الخريف كل ما تفعله هو التمسّك بقوة بالعمود، ثم تروح تفكّر بأفكارها الخاصة بها، وعيناها صافيتان بلونٍ أزرق دافئ

أرغب دائمًا في مراقبتها والنظر إليها، لكنّي يجب أن أكون حذرًا، فأنا أخشى أن تتضايق وتبتعد إذا أمسكتْ بي متلبّسًا بالنظر إليها، وعندها لن يبقى لي أحدٌ لأنّها صديقتي الحقيقية الوحيدة، وإنْ كانت لا تعرف ذلك، فأنا وحيدٌ تمامًا في مدينة نيويورك، وأعتقد أنّي خجولٌ نوعًا ما، ولا أكوّن صداقاتٍ بسهولة الزملاء في المصرف لا بأس بهم، لكنّهم يعيشون حيواتهم الخاصة على طريقتهم الخاصة ثم إنّي لا أستطيع أن أطلب من أيٍّ كان أن يأتي معي إلى غرفتي المفروشة، لذا فإنّهم يسلكون دربَهم الخاصّ بهم، وأسلك أنا دربي المدينة تبتلعني فهي كبيرة جدّاً وصاخبة، وهناك أناس أكثر ممّا ينبغي بالنسبة إلى شخص وحيدٍ مثلي. ويبدو أنّي لن أتمكّن من اعتياد هذا الأمر: فأنا معتادٌ الهدوءَ، والسكينةَ في المزرعة الصغيرة في نيوهامشِرْ، ولكنْ لم يعد لي أيُّ مستقبل في مزرعة صغيرة هناك. ولذا فبعد أن تمّ تسريحي من الخدمة العسكرية في البحرية، تقدّمتُ إلى هذه الوظيفة في المصرف، وحصلتُ عليها، وأعتقد أنّها خطوةٌ جيّدةٌ قُدُمًا، لكنّي وحيدٌ نوعًا ما

وفيما كنت أستقلّ القطار وأتمايل طوال الطريق مع حركة العربة، كان يعجبني أن أتصوّر أنّي وإيّاها صديقان وأجد نفسي ميّالاً في بعض الأحيان إلى الابتسام لها، ليس بطريقةٍ مباشرة سمجة، بل مجرّد ابتسامة هي أقربُ إلى المودة، وأجدني ميّالاً إلى أن أقول شيئًا ما، شيئًا من قبيل: «إنّه صباح جميل، أليس كذلك؟» لكنّي أشعر بالخوف إذ ربما ستتصوّر أنّي واحدٌ من أولئك الشبّان المغرورين والمتبجّحين، وعندها سوف تتجمّد وترمقني بنظرةٍ تخترقني تمامًا، كما لو كنتُ غيرَ موجود، ومن ثم لن تكون موجودة هناك في اليوم التالي، ولن يتبقّى لي أيُّ شخصٍ أفكّر فيه فأبقى أحلم بأنّي ربما سأتعرّف إليها في يومٍ ما ـ بصورةٍ عرضيةٍ وغير مقصودة، أو على الشكل التالي:

ربما ستكون قادمةً من خلال الباب، ويَدْفعها شخصٌ ما، فترتطم بي وتقول بسرعة «أوه، عفوًا» فأرفع قبّعتي بأدبٍ وأقول «لا بأس» وأبتسم لها كي أريها أنّي أعني ما أقول، وعندها ستبتسم هي وتقول. «يوم جميل، أليس كذلك»؟ فأقول لها. «كأنّه الربيع،» ولن تقول أيّ شيء آخر ولكنْ عندما تتأهّب للترجُّل من القطار في الشارع الرابع والثلاثين، فسوف تلوّح لي قليلاً بأصابعها وتقول. «مع السلامة،» وعندها سأحرّك طرفَ قبعتي قليلاً مرةً أخرى وفي الصباح التالي، عندما تأتي والجةً القطارَ، ستراني وتقول. «مرحبًا،» وربما تقول. «صباح الخير،» فأردّ التحيةَ وأضيف شيئًا مثل «لا بدّ أنّ أزهار البنفسج ستتفتّح عمّا قريب،» أو كي أريها أنّي فعلاً أعرف القليلَ عن الربيع، ولن أقوم بأيّة تلميحات ذكية لأنّي لا أريدها أن تظنّ أنّي واحدٌ من أولئك الفتية المعسولي الكلام الذين يتصيّدون الفتيات في

❖ ـ Milton Kaplan, "Feels Like Spring," in Thorney, Wilson R, **Short Story Writing** (Bantam Books, 1979, 3rd ed.,) pp.96-105.

القطار وبعد فترة من الزمن سنصبح أكثر ودّاً، ونبدأ في التحدُّث عن أشياء مثل الطقس والأخبار وستقول لي يومًا ما: «أليس الأمر غريبًا؟ ها نحن نتحدَّث كل يوم وكلانا لا يعرف اسمَ الآخر.» عندها سأقف باستقامة وأحرِّك طرفَ قبعتي وأقول: «أريدك أن تتعرَّفَي إلى السيد توماس بيرس،» وستقول هي بشكل جادٍّ جداً: «سررتُ بمعرفتك يا سيد بيرس وأريدك أن تتعرَّف إلى الآنسة إليزابيت التيموس.» وستكون مرتديةً قفّازين أبيضين نظيفين كالقفّازات التي ترتديها الفتياتُ في الربيع ثم ننفجر بالضحك، وسوف يبتسم الناسُ من حولنا لأنَّ الناس في القطار قريبون جداً بحيث لا يستطيعون تجنُّبَ المشاركة في القليل من حياة المرء. وستقول «توماس» كأنَّها تحاول تجربة صدى الاسم فأسألها «ماذا؟» فتقول. «لا أستطيع أن أناديك باسم توماس، فهو اسم رسمي جداً.» فأقول لها أنَّ أصدقائي ينادونني «تومي.» فترد بالقول «وأصدقائي يسمُّونني بيتي .» وستكون هذه هي الطريقة التي أتعرَّف بها إليها، وربما بعد فترة من الزمن سوف أذكر اسمَ فيلمٍ جيدٍ يُعرض في صالة الموسيقى، وأقترح إنْ كانت لا تفعل أيَّ شيء في وقتٍ محدَّدٍ، لنقلْ . ... عندها ستنطق مباشرةً بعبارة: «أوه، أحبّ ذلك فعلاً.» وسأمرّ عليها في وقت مبكّر قليلاً وألتقيها في مكانِ عملها، وسنذهب لتناول العشاء في مكانٍ ما. سأسأل بعضَ الرجال في المصرف عن عنوانِ مطعمٍ جيد وسأتحدَّث إليها وأخبرها عن نيوهامشِرْ، وربما أروي لها كيف أصبحتُ أشعر بالوحدة. وإذا كان المكان الذي نجلس فيه لطيفًا فعلاً وهادئًا ومريحًا وفيه دفءٌ عائلي، فربما أُخْبرها عن شدّة خجلي. وستصغي إليَّ بعينين لامعتين، وتشبك يديْها وتميل على المائدة حتى ليكون بقدوري أن أشمَّ عبيرَ شعرها ثم تهمس. «إنِّي خجولة ايضًا » عندها سنميل نحن الاثنان إلى الخلف ونبتسم سرّاً ونتناول الطعام دون أن نقول الكثير. وعلى أية حال، ما الذي تبقّى للقول بعد ذلك؟ ثم سنذهب إلى قاعة الموسيقى، وسوف أحصل على المكانين اللذيْن حجزتُهما سلفًا، وسوف نجلس هناك باسترخاء نستمتع بمشاهدة الفيلم. وفي وقتٍ ما أثناء عرض الفيلم، في جزء مثير منه، ربما ستلامس يدُها يدي، وربما أعدِّل من جلستي، فتلمس يدي يدَها من دون قصد، لكنَّها لن تبعد يدَها عندها سأمسك بيدها وسأكون هناك بين ثمانية ملايين إنسان، لكنِّي لن أكون وحيدًا بعد ذلك، إذ سأَخْرج مع حبيبتي.

وبعد ذلك سأعود بها إلى البيت، ولن ترغب أن أقطع كلَّ تلك المسافة وستقول: «إنَّني أعيش في نيوجيرزي، إنَّها لالتفاتةٌ لطيفةٌ منك أن تَعْرض إيصالي إلى بيتي، ولكنْ لم يكن في وسعي أن أطلبَ منك ان تقوم برحلة طويلة كهذه » فأجيبها «لا تقلقي، سأكون بخير،» لكنِّي سأُمسك بذراعها وأقول: «هيا بنا، أريد أن أوصلك إلى البيت، إنِّي أحبّ نيو جيرزي.»

ثم سنستقلّ الحافلةَ عبر جسر جورج واشنطن، ونهرُ هدسون يتدفَّق من تحتنا قاتمًا وغامضًا. سنكون في نيو جيرزي، وسنرى أضواءَ البيوت الصغيرة، وسنتوقف عند واحدةٍ من تلك المدن الصغيرة إيغل وود، أو ليونيا، أو ريدجوود، وكنتُ قد بحثتُ عن تلك المدن الصغيرة على الخارطة متسائلاً أيّ منها مدينتها، وسوف تدعونني إلى الدخول، لكنِّي سأقول إنَّ الوقت متأخِّر جداً عندها سوف تستدير نحوي وتقول. «إذن يجب أن تعدني بأن تاتي لتناول العشاء معي هذا الأحد.» فأعدها بذلك ثم.

القطار يخفِّف سرعته، والناس تشحذ قواها بشكل تلقائي استعدادًا للتوقف. ها هي محطة الشارع ١٧٥، وهناك حشدٌ كبيرٌ ينتظر دورَه للدخول. أتطلَّع بقلق باحثًا عنها، لكنِّي لا أراها في أيّ مكان، فيغوص قلبي إلى الأعماق. عندها فقط لمحتُها لمحةً سريعةً على مسافة بعيدة عند الجانب كانت ترتدي قبعةً جديدةً، وعليها أزهارٌ صغيرة ينفتح الباب ويبدأ الناسُ بالتدافع وهم داخلون، وإذا بها تَعْلق في ذلك التدافع ولم يكن في مقدورها فعل أيّ شيء. اصطدمتْ بي وأمسكتْ بقوةٍ بالحزام الذي كنتُ أتمسّك به. تشبَّثتْ به بقوة حفاظًا على حياتها الغالية قالت وهي تلهث «أرجو المعذرة.» تسمّرتْ يداي في الأسفل ولم أستطع أن أرفع طرف قبعتي، لكنِّي أجبت بأدب «ولا يهمّك!» أغلقت الأبوابُ وبدا القطارُ يتحرَّك كان يتحتّم عليها التمسُّك بالحزام الذي كنتُ أمسك به، ولم يكن هنالك أيُّ مكان آخر لها قالت: «يوم لطيف، أليس كذلك؟»

كان القطار يترجرج عند المنعطفات، وبدت العجلاتُ التي كانت تطلق صرخاتٍ حادّةً على القضبان وكأنَّها الطيور تغزو نيوهامشِرْ كان قلبي يدقّ بعنف كما المجنون، قلتُ: «كأنَّه الربيع »